من أسرار
ظواهر الرسم العثماني

أ - ظاهرة الزيادة :

من أمثلة هذه الظاهرة :

١ - زيادة الألف في « مائة » للفرق بينها وبين « منه » باعتبار أن المصاحف كانت خالية من النقط والشكل والهمز ، وألحق بها « مائتين » حيث وقعتا .

٢ - زيدت الواو في (أولى) للفرق بينها وبين « إلى » الجارة ، وزيدت في (أولئك) للفرق بينها وبين « إليك » واطردت زيادتها في « أولوا ، وأولات ، وأولائكم » حملًا على أخواتها [(١)] .

٣ - زيدت الياء في لفظ « بأييد » من قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [(٢)] للفرق بين « الأيد » بمعنى القوة ، وبين « الأيدي » جمع يد . ولاشك أن القوة التي بنى اللّه بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي [(٣)] .

قال ابن عباس وغيره : « بأيد » أي : بقوة وقدرة [(٤)] .

وقد اختلف العلماء هل الزائدة هي الياء الأولى أو الثانية ؟

والذي عليه العمل في المصاحف الآن : أن الثانية هي الزائدة ؛ ولذلك وضع الصفر المستدير عليها ، كما هي قواعد الضبط .

ب - ظاهرة الحذف :

من أمثلة هذه الظاهرة :

١ - حذف الألف :

ظاهرة حذف الألف في القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة ، بعضها يرجع إلى

---

(١) انظر : النشر (٩٢/١-٤٥٧) .
(٢) سورة الذاريات الآية (٤٧) .
(٣) البرهان للزركشي (٣٨٧/١) .
(٤) تفسير القرطبي (٥٢/١٧) . جاء في القاموس المحيط فصل الهمزة باب الدال : « آد يئيد أيدا : اشتد وقوي » .

اختلاف القراءات ، وبعضها يرجع إلى أسباب أخرى ، قد لا ندرك لها سرًّا ، وعلماء الرسم يقسمون الحذف إلى ثلاثة أقسام : حذف إشارة ، وحذف اختصار ، وحذف اقتصار (١) .

ومن ذلك حذف الألف من الأسماء الأعجمية .

قال أبو عمرو الداني :

« اتفقوا على حذف الألف من الأعلام الأعجمية المستعملة ، كإبراهيم ، وإسماعيل ، وإسحاق ، وهارون ، ولقمان ، وشبهها ، وأما حذفها من سليمان ، وصالح ، ومالك ، وليست بأعجمية ، فلكثرة الاستعمال ، فأما ما لم يكثر استعماله من الأعجمية فبالألف ، كطالوت ، وجالوت ، ويأجوج ، ومأجوج ، وشبهها » (٢) .

ومن أمثلة حذف الألف للإشارة إلى قراءتين أو أكثر :

قوله تعالى : ﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٣) . حذفت الألف من كلمة ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ لتحتمل قراءة (وما يخادعون) بالألف وضم الياء وفتح الخاء (٤) .

ومثل قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ... ﴾ (٥) .

ففي قوله تعالى : ﴿ تَّزَٰوَرُ ﴾ ثلاث قراءات :

الأولى : (تَزْوَرُّ) بإسكان الزاي وتشديد الراء ، بلا ألف ، لابن عامر ويعقوب .

الثانية : (تَزَاوَرُ) بفتح الزاي مخففة وألف بعدها ، وتخفيف الراء ، لعاصم وحمزة والكسائي وخلف .

---

(١) تقدم معناها وأمثلتها .
(٢) انظر : البرهان (١/٣٩١-٣٩٢) .
(٣) سورة البقرة الآية (٩) .
(٤) انظر : إتحاف فضلاء البشر (١/٣٧٧) .
(٥) سورة الكهف من الآية (١٧) .

الثالثة : (تَزَّاوَرُ) بفتح الزاي مشددة ، وألف بعدها ، وتخفيف الراء ، لباقي القراء .

وقد رسمت بحذف الألف لتحتمل هذه القراءات الثلاث [1] ، على غرار ما قلنا في مثل « ملك يوم الدين » .

٢ - **حذف الواو :**

أ - ما حذفت واوه اكتفاء بالضمة ، وذلك في أربعة أفعال :

١ - ﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ﴾ [2] حذفت الواو من « ويدع » .

٢ - ﴿ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ [3] حذفت الواو من « ويمح » وأصلها (ويمحو) .

٣ - ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴾ [4] حذفت الواو من « يدع » أصلها « يدعو » .

٤ - ﴿ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴾ [5] حذفت الواو من « سندع » فأصلها « سندعو » .

ب - ما حذفت نونه للإضافة ، وواوه اكتفاء بالضمة ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [6] فهو جمع مذكر سالم أصله : « وصالحون » [7] .

---

(١) انظر : إتحاف فضلاء البشر (٢/٢١٠-٢١١) .
(٢) سورة الإسراء من الآية (١١) .
(٣) سورة الشورى من الآية (٢٤) .
(٤) سورة القمر من الآية (٦) .
(٥) سورة العلق الآية (١٨) .
(٦) سورة التحريم من الآية (٤) .
(٧) قال الزركشي في علة حذف هذه الواو : « وقد سقطت من أربعة أفعال ، تنبيهًا على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل ، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود :
أولها : ﴿ سندع الزبانية ﴾ فيه سرعة الفعل وإجابة الزبانية وقوة البطش ، وهو وعيد عظيم ، ذكر مبدؤه وحذف آخره ، ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر ﴾ القمر : ٥٠ .
وثانيها : ﴿ ويمح الله الباطل ﴾ حذفت منه الواو علامة على سرعة الحق وقبول الباطل له بسرعة ، بدليل قوله تعالى : ﴿ إن الباطل كان زهوقا ﴾ وليس « يمح » معطوفا على « يختم » الذي قبله ، لأنه ظهر مع « يمح » الفاعل وعطف على الفعل ما بعده وهو : « ويحق الحق » .
وثالثها : ﴿ ويدع الإنسان بالشر ﴾ حذفُ الواو يدل على أنه سهل عليه ، ويسارع فيه كما يعمل في الخير ، وإتيان الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير .
ورابعا : ﴿ يوم يدع الداع ﴾ حذف الواو لسرعة الدعاء وسرعة الإجابة » البرهان (١/٣٩٧-٣٩٨) .

٣ - حذف الياء :

ظاهرة حذف الياء كثيرة في القرآن الكريم ، سواء أكانت أصلية ، أي : من بنية الكلمة مثل « الداع » أصلها « الداعي » أم كانت زائده مثل : « فارهبون » ، « فاتقون » .

وقد حذفت الياء من المصاحف للتخفيف ، وهي لغة مشهورة عند العرب ، يقولون : مررت بالقاضِ ، وجاءني القاضِ ، فيحذفون الياء لدلالة الكسرة عليها [(١)] . هذا من حيث اللغة .

ومن حيث القراءة : رسمت هكذا لتحتمل قراءة إثبات الياء أو حذفها ، فمن القراء من حذفها وصلًا ووقفًا ، ومنهم من أثبتها وصلًا ووقفًا ، وهناك من أثبتها وصلًا وحذفها وقفًا .

فحجة من حذفها وصلًا ووقفًا : اتباع الرسم ، والاكتفاء بالكسرة للدلالة عليها ، وأجرى الوقف مجرى الوصل .

وحجة من أثبتها وصلًا ووقفًا : أنه أتى بها على الأصل .

أما من أثبتها وصلًا ، وحذفها وقفًا ، فحجته : أنه اتبع الأصل في الوصل ، واتبع خط المصحف في الوقف ؛ لأن أكثر الخط كتب بما يوافق الوقف والابتداء ، فلما لم تثبت الياء في الخط ، حذفها في الوقف ؛ إتباعا للرسم [(٢)] .

جـ - ظاهرة البدل :

البدل في اللغة : العوض . واصطلاحًا : جعل حرف مكان حرف آخر .

وصور البدل كثيرة ، منها : إبدال الألف ياء ، أو واوًا ، ومنها : إبدال السين صادًا ، والهاء تاء ، والنون ألفًا ؛ لعلل وأسرار كثيرة يضيق المقام عن حصرها فلنذكر لها بعض الأمثلة :

١ - رسم الألف ياء في بعض الكلمات للدلالة على أن أصلها الياء فتمال عند من مذهبه الإمالة مثل : (رمى - أعطى - استسقى - اهتدى) .

٢ - رسم الألف واوًا للدلالة على أن أصلها الواو مثل : (الصلاة) فأصلها

---

(١) انظر : الكشف عن وجوه القراءات السبع (٣٣١/١) .
(٢) المصدر السابق (٣٣٣/١) .

الواو ، ولذلك تجمع على « صلوات » ومثل : (الربا) أصلها من : ربا يربو ، إذا زاد .

٣ - رسم الهاء تاء :

هاء التأنيث رسمت في بعض الكلمات بالتاء ، وفي البعض الآخر بالهاء .

فالذي رسم بالهاء مثل : « رحمة ، ونعمة ، وكلمة » لاخلاف بين القراء في الوقف عليه بالهاء .

أما ما رسم بالتاء مثل : (بقيّت - نعمت - رحمت) ففي الوقف عليه للقراء وجهان :

أحدهما : الوقف بالهاء ، كما هو الأصل في الوقف على تاء التأنيث ، وهو إبدالها هاء .

وثانيهما : الوقف بالتاء ، اتباعًا لرسم المصحف .

وبذلك يتبين أن الصحابة - رضي اللّه عنهم - فرقوا بين بعض الكلمات ، فرسموا بعضها بالهاء ، وبعضها بالتاء لتحتمل المرسومة بالتاء قراءتين ، بخلاف المرسومة بالهاء ، فلا تحتمل إلا وجهًا واحدًا (١) .

٤ - القطع والوصل :

من أهم الظواهر التي تضمنها « علم الرسم » : باب القطع والوصل ، ويسمى : المقطوع والموصول .

وقد أوجب العلماء على القارئ معرفة هذا الباب ؛ ليقف على كل كلمة حسب رسمها في المصاحف العثمانية .

فإذا كانت الكلمة مفصولة عن غيرها جاز للقارئ الوقف على أحد أجزائها عند الضرورة ، كأن يكون في مقام التعلم ، أو الامتحان ، أو ضيق النفس ، وما أشبه ذلك .

وإذا كانت موصولة بما بعدها لم يجز له الوقف إلا على الجزء الثاني منها (٢) .

ومن أمثلة ذلك : « أم » مع « من » كتبت مفصولة في أربعة مواضع :

---

(١) انظر : النشر (١٢٨/٢ وما بعدها) .

(٢) المرجع السابق (١٤٨/٢ وما بعدها) .

الأول : ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ بالنساء [1] .

الثاني : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ ... ﴾ بالتوبة [2] .

الثالث : ﴿ أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ... ﴾ بالصافات [3] .

الرابع : ﴿ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ بفصلت [4] .

وكتبت موصولة فيما عدا ذلك في القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى : ﴿ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ ﴾ بيونس [5] ، وقوله تعالى : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ [6] ، وقوله تعالى : ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ [7] .

يضاف إلى ذلك : ما تقدم بيانه عند الكلام على كيفية اشتمال المصاحف العثمانية على هذه الأحرف ، وأن رسم بعض الكلمات بطريقة معينة يرجع إلى اختلاف القراءات ، وهو ثلاثة أنواع :

النوع الأول : ما فيه قراءتان ، ورسم على إحداهما مثل : (صراط ، يبصط ، المصيطرون) .

النوع الثاني : ما فيه قراءتان ورسم برسم واحد يحتمل القراءتين ، مثل : ﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ كتبت (ملك) بدون ألف لتحتمل قراءة المد ، ومثل قوله تعالى : ﴿ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ فقد كتبت ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ ﴾ بدون ألف لتحتمل القراءتين .

النوع الثالث : ما فيه قراءتان أو أكثر ورسم في كل مصحف حسب قراءة القطر الذي أرسل إليه المصحف ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ [8] . فقد

---

(١) من الآية (١٠٩) .
(٢) من الآية (١٠٩) .
(٣) من الآية (١١) .
(٤) من الآية (٤٠) .
(٥) من الآية (٣٥) .
(٦) سورة النمل من الآية (٦٢) .
(٧) النمل من الآية (٦٣) .
(٨) سورة البقرة من الآية (١١٦) .

رسمت في المصحف الشامي بلا واو ﴿ وَقَالُواْ ﴾ وعلى ذلك جاءت قراءة ابن عامر . وفي بقية المصاحف بالواو (١) . وتقدم لذلك أمثلة كثيرة .

والخلاصة :

أن رسم المصاحف العثمانية على هذه الكيفية إنما كان لعلل وأسرار كثيرة ، منها ما وقفنا على علله ، ومنها ما لم نقف له على علة حتى الآن .

قال الإمام أبو عمرو الداني :

« وليس شيء من الرسم ، ولا من النقط اصطلح عليه السلف – رضوان الله عليهم – إلا وقد حاولوا به وجها من الصحة والصواب ، وقصدوا به طريقًا من اللغة والقياس ؛ لموقعهم من العلم ، ومكانهم من الفصاحة ، علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » (٢) .

الاتجاه الثاني : اتجاه خطأ الصحابة في الكتابة :

هذا الاتجاه يرى : أن الاختلاف في كتابة المصاحف بظواهره المتقدمة كان ناشئًا عن جهل الصحابة – رضي اللّه عنهم – بقواعد الخط ، وبعدهم عن الصنائع .

وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك فقال : « ... فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ، ولا إلى التوسط ؛ لمكان العرب من البداوة والتوحش ، وبعدهم عن الصنائع ، وانظر ما وقع لأجل ذلك من رسمهم المصحف ، حيث رسمه الصحابة بخطوطهم ، وكانت غير مستحكمة في الإجادة ، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها ، ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها ؛ تبركًا بما رسمه أصحاب رسول اللّه ﷺ وخير الخلق من بعده ، المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه ، كما يقتفى لهذا العهد خط ولي أو عالم تبركًا ، ويتبع رسمه خطأ أو صوابًا ، وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه ، فاتّبع ذلك وأثبت رسمًا ، ونبه العلماء بالرسم على مواضعه » ثم قال : « ولا تلتفتنّ في ذلك

---

(١) انظر : النشر (٢/٢٢٠) .

(٢) المحكم ص ١٩٦ .

إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط ، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل ، بل لكلها وجه ، ويقولون في مثل زيادة الألف في ﴿ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ ﴾ : إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع ، وفي زيادة الياء في ﴿ بِأَيْيْدٍ ﴾ : إنه تنبيه على كمال القدرة الربانية ، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض ، وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيها للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط ، وحسبو أن الخط كمال ، فنزهوهم عن نقصه ، ونسبوا إليهم الكمال بإجادته ، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه ، وذلك ليس بصحيح » (١) .

ويتمسك أصحاب هذا الاتجاه بما ورد من آثار منسوبة إلى بعض الصحابة - رضي اللّه عنهم - يفيد ظاهرها وقوع بعض الأخطاء في رسم بعض الكلمات .

ومن هذه الآثار :

١ - عن الحارث بن عبد الرحمن ، عن عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر القرشي قال : لما فُرغ من المصحف أُتي به عثمان ، فنظر فيه ، فقال : قد أحسنتم وأجملتم ، أرى فيه شيئًا من لحن ، وستقيمه العرب بألسنتها (٢) .

---

(١) تاريخ ابن خلدون (٧٥٧/١) ط . دار الكتاب اللبناني طبعة سنة ١٩٥٧ م .

(٢) أخرجه الداني بسنده عن عمران القطان به . المقنع ص ١٢١ ، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤٤٢/٤) ، ومعرفة القراء الكبار (٦٨/١) ، والسيوطي عن السجستاني في الدر المنثور (٧٤٥/٢) ، كما ذكره السجستاني في كتاب المصاحف (٢٣٢/١) وقد ناقش العلماء الاستدلال بهذا الأثر بأنه لا يصح من عدة وجوه :

قال الداني : هذا الخبر عندنا لا يقوم بمثله حجة ، ولا يصح به دليل من جهتين :

إحداهما : أنه مع تخليط في إسناده واضطراب في ألفاظه مرسل ؛ لأن ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئًا ولا رأياه .

وأيضا : فإن ظاهر ألفاظه ينفي وروده عن عثمان - رضي اللّه عنه - لما فيه من الطعن عليه مع محله من الدين ومكانه من الإسلام ، وشدة اجتهاده في بذل النصيحة ، واهتمامه بما فيه الصلاح للأمة ، فغير متمكن أن يتولى لهم جمع المصحف مع سائر الصحابة الأخيار الأتقياء الأبرار نظرًا لهم ، ليرتفع الاختلاف في القرآن بينهم ، ثم يترك لهم فيه مع ذلك لحنًا وخطأً يتولى تغييره من يأتي بعده ، ممن لا شك أنه لا يدرك مداه ، ولا يبلغ غايته ولا غاية من شاهده . هذا مالا يجوز لقائل أن يقوله ، ولا يحل لأحد أن يعتقده .

فإن قال : فما وجه ذلك عندك لو صح عن عثمان رضي اللّه عنه ؟

قلت : وجهه : أن يكون عثمان - رضي اللّه عنه - أراد باللحن المذكور فيه : التلاوة دون الرسم ؛ إذ =

٢ - ومن الآثار التي استند إليها القائلون بخطأ الصحابة - رضي اللّه عنهم - في كتابة المصاحف : ما روي عن هشام بن عروة عن أبيه قال : سألت عائشة عن لحن القرآن : ﴿ إِنَّ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ ﴾ (١) ، وعن قوله : ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ

= كثير منه لو تلي على حال رسمه ؛ لانقلبت بذلك معنى التلاوة ، وتغيرت ألفاظها ، ألا ترى قوله : (أولأاذبحنه ...) ، (ولأ اوضعوا) ، (من نبأى المرسلين) ، و(سأوريكم) و (الربوا) وشبهه مما زيدت فيه الألف والياء والواو في رسمه ، لو تلاه تال لا معرفة له بحقيقة الرسم على حال صورته في الخط لصيّر الإيجاب نفيًا ، ولزاد في اللفظ ما ليس فيه ولا من أصله ، فأتى من اللحن بما لا خفاء به على من سمعه ، مع كون رسم ذلك كذلك جائزًا مستعملًا فأعلم عثمان - رضي اللّه عنه - إذ وقف على ذلك أن من فاته تمييز ذلك ، وعزبت معرفته عنه ممن يأتي بعده ، سيأخذ ذلك عن العرب ؛ إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم ، فيعرّفوه بحقيقة تلاوته ، ويدلونه على صواب رسمه ، فهذا وجهه عندي ، والله أعلم » المقنع ص ١١٩-١٢٠ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : هذا خبر باطل لا يصح من وجوه :

أحدها : أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات ، فكيف يقرون اللحن في القرآن ، مع أنه لا كلفة عليهم في إزالته .

والثاني : أن العرب كانت تستقبح اللحن غاية الاستقباح في الكلام ، فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف ؟!

والثالث : أن الاحتجاج بأن العرب ستقيمه بألسنتها غير مستقيم ؛ لأن المصحف الكريم يقف عليه العربي والعجمي .

والرابع : أنه قد ثبت في الصحيح أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب (التابوت) بالهاء على لغة الأنصار ، فمنعوه من ذلك ، ورفعوه إلى عثمان - رضي اللّه عنه - وأمرهم أن يكتبوه بالتاء على لغة قريش ، ولما بلغ عمر - رضي اللّه عنه - أن ابن مسعود - رضي اللّه عنه - قرأ « عتّى حين » على لغة هذيل ، أنكر ذلك عليه ، وقال : أقرئ الناس بلغة قريش ؟ فإن الله تعالى إنما أنزله بلغتهم ، ولم ينزله بلغة هذيل » انظر الفتاوى (٢٥٢/١٥ - ٢٥٥) .

(١) سورة طه من الآية (٦٣) . وفيها عدة قراءات : فنافع وابن عامر وشعبة وحمزة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف بتشديد « إنّ » و « هذان » بالألف وتخفيف النون . وفي توجيهها عدة أقول :

أحدها : أن « إنّ » بمعنى « نعم » و « هذان » مبتدأ ، و« لساحران » خبره .

ثانيها : اسم « إنّ » ضمير الشأن ، وجملة « هذان لساحران » خبرها .

ثالثها : أن « هذان » اسم « إن » على لغة من أجرى المثنى بالألف دائمًا .

وقرأ ابن كثير « إن » بتخفيف النون و « هذانّ » بالألف وتشديد النون .

وقرأ حفص مثل قراءة ابن كثير ، إلا أنه حفف النون من « هذان » . وهما واضحتان . وقرأ أبو عمرو « إنّ هذين لساحران » بتشديد نون « إن » و « هذين » بالياء وتخفيف النون ، وهي واضحة من حيث الإعراب والمعنى ، ولكنها استشكلت من حيث مخالفتها لخط المصحف . وما دامت القراءة صحيحة فلا يطعن فيها ذلك ، فهي مما شذ عن قواعد الرسم ، مع صحتها وتواترها . انظر : الإتحاف (٢٤٩/٢) .

﴿ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ (١) ، وعن قوله : ﴿ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ ﴾ (٢) ؟ فقالت : يا ابن أختي ، هذا عمل الكتّاب أخطأوا في الكتابه (٣) .

الرد على هذا الاتجاه :

يمكن الرد على اتجاه القائلين بخطأ الصحابة - رضي الله عنهم - في كتابة المصاحف من عدة وجوه :

أولًا : عدم التسليم بأن الكتابة العربية كانت عاجزة عن الاستجابة لمتطلبات اللغة ؛ فإنه من الثابت أن الكتابة تولدت ونمت في شمال الجزيرة في بلاد الأنباط ، ثم اتجهت - تحت تأثير السياسة - إلى الشرق ، ووجدت في الحواضر العربية من العراق المناخ الملائم لأن تتطور وتتأصل وتنتشر في الحيرة وغيرها من القرى العربية ... مما أدى إلى انتشار الكتابة بين عرب العراق قبل الإسلام ، واتصال أهل مكة بأهل الحيرة أمر مسلم به ، فلا يستبعد أن يكون أهل مكة والمدينة قد تعلموا من أهل الحيرة ، وأن هؤلاء قد علّموا غيرهم من قريش وغيرهم (٤) .

وقد أثبتت الكتابات والنقوش المكتشفة أن العرب في الجاهلية كانوا يكتبون قبل الإسلام بأكثر من ثلاثة قرون ، لكن لم تكن الكتابة لديهم شائعة إلا قرب البعثة المحمدية (٥) .

وقد ذكر المؤرخون عددًا من الذين كانوا يعلّمون الكتابة في الجاهلية ، ومنهم : عمرو بن زرارة ، وكان يسمى : الكاتب ، وغيلان بن سلمة ، وكانت

---

(١) سورة النساء من الآية (١٦٢) وقد وجهها العلماء بأن قوله تعالى : ﴿ والمقيمين ﴾ منصوب على المدح ، وإنما قطعت هذه الصفة عن بقية الصفات لبيان فضل الصلاة على غيرها . انظر : التبيان في إعراب القرآن للعكبري (٤٠٧/١-٤٠٨) .

(٢) سورة المائدة من الآية (٦٩) وهي قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى ﴾ ووجهت بأن قوله تعالى : ﴿ والصابئون ﴾ بالرفع على الابتداء ، وخبره محذوف ، تقديره : كذلك . الإتحاف (٥٤١/١) .

(٣) رواه الطبري في تفسيره (١٨/١) ، والداني في المقنع ص ١٢٣ ، وأبو عبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن ص ٢٢٩ ، وأورده القرطبي في تفسيره (٢١٦/١١،١٤/٦) والسيوطي في الإتقان (٤٩٥/١ - ٤٩٦) عن أبي عبيد وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وفي الدر المنثور (٧٤٤/٢ - ٧٤٥) وعزاه إلى أبي عبيد وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي داود وابن المنذر .

(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي (٦٥/٧) .

(٥) مصادر الشعر الجاهلي ص ٢٥ .

أسرة ثقيف ذات شهرة واسعة بالكتابة (١) .

وكان لقيط بن يعمر الأيادي شاعرًا كاتبًا باللغة العربية ، وكان مترجمًا في بلاد فارس ، وهو الذي أرسل إلى قومه يقول :

سلام في الصحيفة من لقيط   إلى من بالجزيرة من إياد (٢)

ولم يكن الرجال وحدهم هم الذين يقرأون ويكتبون ، بل كان من النساء من يكتبن ، ومنهن : الشفاء بنت عبد ، من أسرة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقد كانت تكتب في الجاهلية والإسلام ، وهي التي علّمت السيدة حفصة بنت عمر - رضي اللّه عنهما - زوج النبي ﷺ الكتابة (٣) . وفي فتوح البلدان (٤) : أن الإسلام دخل مكة وفي قريش سبعة عشر رجلًا كلهم يكتب .

وبدخول الإسلام المدينة نشطت الكتابة ، ومن ثمار هذا النشاط : ما كان من أسر سبعين من المشركين في بدر ، وقبل النبي ﷺ من كل أسير أربعة آلاف درهم ، أو تعليم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة ، فداءً له (٥) .

ولم يكن الصحابة - رضي اللّه عنهم - يعرفون الكتابة فقط ، بل كانوا يعرفون النقط والشكل أيضًا .

قال الإمام ابن الجزري :

« .. وجردت المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله وثبتت تلاوته عن النبي ﷺ » (٦) .

وروي عن عبد اللّه بن مسعود - رضي اللّه عنه - أنه قال : « جرّدوا القرآن ليربو فيه صغيركم ، ولا ينأى عنه كبيركم » (٧) .

---

(١) المصدر السابق ص ٥٠ .

(٢) المصدر السابق ص ١٠٧ ، ١١٤ .

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٥٧/٤) وقال : هذا صحيح على شرط الشيخين .

(٤) ص ٦٦٠ .

(٥) طبقات ابن سعد (٢٦/٢) .

(٦) النشر (٧/١) .

(٧) الفائق للزمخشري (١٨٦/١) .

والمراد بذلك : تجريد المصحف من النقط والفواتح والعشور ، لئلا يفهم الصغار أن ذلك من القرآن .

فدل ذلك كله على بطلان ما قاله ابن خلدون : « إن الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ... وقوله : وانظر إلى ماوقع لأجل ذلك من رسمهم المصحف ، حيث رسمه الصحابة بخطوطهم ، وكانت غير مستحكمة في الإجادة ... » .

ثانيا : أن المتأمل في الظواهر السابقة وغيرها ، يجد أن الصحابة – رضي الله عنهم – كانوا من الدقة في كتابة المصاحف بما لا يستطيع منصف أن ينكره .

وقد سبق أن نقلنا أمثلة كثيرة للعلل والأسرار التي من أجلها زادوا بعض الحروف ، أوحذفوها ، أو أبدلوا حرفًا بحرف ، بما يتفق مع قواعد اللغة العربية وأسرارها .

يضاف إلى ذلك : رسمهم لبعض الكلمات بصور مختلفة ، نتيجة لاختلاف القراءات والأوجه الواردة في الكلمة .

ومن أمثلة ذلك كلمة : (الأيكة) وقعت في القرآن الكريم في أربعة مواضع :

الأول : قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴾ بالحجر (١) .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ بالشعراء (٢) .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ﴾ بص (٣) .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ... ﴾ بق (٤)

رسمت الكلمة في سورتي الحجر وق هكذا (الأيكة) بألف قبل اللام .

ورسمت في سورتي الشعراء وص هكذا (ليكة) بدون ألف كما هو واضح في رسم المصحف .

(١) الآية (٧٨) .
(٢) سورة الشعراء الآية (١٧٦) .
(٣) سورة ص الآية (١٣) .
(٤) من الآية (١٤) .

والسبب في ذلك أن موضعي الشعراء وص فيهما قراءتان :

الأولى : « ليكة » بلام مفتوحة بلا ألف وصل قبلها ، ولا همز بعدها ، وفتح تاء التأنيث غير منصرفة للعلمية والتأنيث ، وهي قراءة نافع ، وابن كثير ، وابن عامر ، وأبي جعفر .

وقرأ الباقون بهمزة وصل ، وسكون اللام ، وبعدها همزة مفتوحة ، وكسر التاء « الْأَيْكَةِ » .

والقراءتان صحيحتان متواترتان .

أما موضعا الحجر وق فرسمتا بالألف قبل اللام ﴿ ٱلْأَيْكَةِ ﴾ والسبب في ذلك : أن هذين الموضعين ليس فيهما إلا قراءة واحدة : ﴿ ٱلْأَيْكَةِ ﴾ بهمزة وصل ، وسكون اللام ، وبعدها همزة مفتوحة ، وكسر التاء (١) .

وفي هذا المثال دلالتان :

إحداهما : أن الصحابة - رضي اللّه عنهم - إنما رسموا هذه الكلمات وما شابهها بهذه الطريقة بناء على قواعد وأسس دقيقة ، وأن الله - تعالى - قد اختارهم مع رسوله ﷺ لحفظ دينه وكتابه ، فلا يصح نسبة الخطأ إليهم في مثل هذا العمل .

الدلالة الثانية : أن القراءة سنة متبعة ، لا اجتهاد فيها ولا قياس ، وإلا فلماذا قرئت هذه الكلمة في بعض السور بقراءتين ، وفي البعض الآخر بقراءة واحدة ؟

وما قيل من أن قراءة ﴿ لَئَيْكَةِ ﴾ بدون همزة أخذت من رسم الكلمة مردود ؛ لأن القراءة سابقة على الكتابة كما هو معروف .

فنظرية تأثر القراءات بالرسم ، وأن السبب في اختلاف القراءات خلو المصاحف من النقط والشكل ورسم بعض الكلمات بطريقة معينة ، هذه النظرية نظرية إلحادية ، أوردها بعض المستشرقين للطعن في صحة القرآن الكريم ، باعتباره مصدر التشريع الأول .

قال المستشرق « جولدزيهر » في كتابه « مذاهب التفسير الإسلامي » : « فلا يوجد كتاب تشريع اعترفت به طائفة دينية اعترافًا عقديًا ، على أنه نص منزل

---

(١) انظر : إتحاف فضلاء البشر (٢/٣١٩) .

موحى به ، يقدم نصه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب ، وعدم الثبات ، كما نجد في نص القرآن » (١) .

ثم تحدث عن سبب اختلاف القراءات فقال :

« وترجع نشأة قسم كبير من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكله المرسوم مقادير صوتية مختلفة ، تبعًا لاختلاف النقاط الموضوعة فوق الهيكل أو تحته ، وعدد تلك النقاط ، بل كذلك في حالة تساوي المقادير الصوتية يدعو اختلاف الحركات ، الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده ، إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة ، وبهذا إلى اختلاف دلالتها .

وإذًا : فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط ، واختلاف الحركات في المحصول الموحد الغالب من الحروف الصامتة ، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات ، في نص لم يكن منقوطًا أصلًا ، أو لم تتحر الدقة في نقطه أو تحريكه .. » (٢) .

وفيما ذكرناه سابقا – من أن القراءة كانت سابقة على الرسم ، وأنها كانت تتلقى مباشرة عن رسول اللّه ﷺ بالأسانيد الصحيحة – ما يرد على هذه الدعوى الملحدة ، التي تهدف إلى النيل من القرآن الكريم ، الذي تكفل الله – تبارك وتعالى – بحفظه دون سائر الكتب المنزلة .

وقد تصدى العلماء لبيان كذب هذه الدعوى بما لا يدع مجالًا للشك ، من أن الصحابة – رضي اللّه عنهم – إنما كتبوا المصاحف بناء على ما تلقوه من رسول اللّه ﷺ ولم تكن القراءة تابعة للرسم .

ومن الرسائل المهمة التي فنّدت هذه الدعوى : كتاب شيخنا الشيخ عبد الفتاح عبد الغني القاضي المتوى سنة ١٤٠٣ هـ بعنوان « القراءات في نظر المستشرقين والملحدين » (٣) .

---

(١) مذاهب التفسير الإسلامي ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ص ٤ .

(٢) المصدر السابق ص ٨ .

(٣) طبع بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر عام ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م .

ومما قاله في كتابه هذا ، مما يتصل بموضوعنا :

« في القرآن الكريم كلمات تكررت في مواضع كثيرة ، ورسمت برسم واحد في جميع المواضع ، ولكنها في بعض المواضع وردت فيها القراءات التي يحتملها رسمها ، فاختلف فيها القراء ، وتنوعت فيها قراءاتهم .

وفي بعض المواضع اتفق القراء على قراءتها بوجه واحد ؛ لأن غيره لم يصح به النقل ، ولم تثبت به الرواية ، مع أن الرسم يحتمله .

وهاك أمثلة لما ذكرنا :

المثال الأول : كلمة « مالك » ذكرت في القرآن على أنها صفة ، أو في حكم الصفة في ثلاثة مواضع :

﴿ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ في الفاتحة .

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ في آل عمران .

﴿ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴾ في سورة الناس .

ورسمت هذه الكلمة برسم واحد في المواضع الثلاثة ، وهو : حذف الألف بعد الميم ، ولكن القراء اختلفوا في قراءتها في موضع الفاتحة فقط ، فمنهم من قرأها فيه بحذف الألف ، ومنهم من قرأها فيه بإثباتها .

أما موضع آل عمران : فقد اتفقوا على قراءتها فيه بإثبات الألف ، مع أنه لو قرئت الكلمة في هذا الموضع بحذف الألف ، لكان ذلك سائغًا لغة ومعنى ، ولكن لم تقرأ بالحذف في هذا الموضع ؛ لعدم ثبوت الرواية فيه بالحذف .

وأما موضع سورة « الناس » فقد اتفق القراء على قراءة الكلمة فيه بحذف الألف ، مع أنه لو قرئت هذه الكلمة في هذا الموضع بإثبات الألف ، لكان ذلك سائغًا لغة ومعنى ، ولكن لم تقرأ الكلمة في هذا الموضع بالإثبات ؛ لعدم ثبوت النقل فيه بالإثبات .

فلو كانت القراءات بالرأي والاجتهاد ، لا بالتلقي والتوقيف ، وكان تنوع

القراءات تابعًا لرسم المصحف ، لم يكن اختلاف القراء مقصورًا على موضع الفاتحة ، بل كان يتناول الموضعين الآخرين ، لكنهم اختلفوا في موضع الفاتحة ، واتفقوا في موضعي آل عمران والناس .

فدل هذا على أن القراءات لم تكن بالاختيار والاجتهاد ، ولم يكن تنوعها تابعًا للخط والرسم ، وإنما هو تابع للسند والرواية والنقل » [1] .

ثالثًا : أن هذه الدعوى – دعوى خطأ الصحابة – لو صحت لأدى ذلك إلى ثبوت التحريف في القرآن الكريم ، وهذا يتنافى مع وعد الله – تعالى – بحفظه . قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [2] .

أما وحفظ الله تعالى لكتابه حقيقة قائمة ، فإن الخطأ ينتفي ، وبالتالى ينتفي جهل كتّاب الوحي ، المؤدي إلى الخطأ في رسم كلمات كتاب حفظه الله ، وأكد حفظه منزله الحكيم الخبير [3] .

رابعا : مناقشة الآثار :

ناقش العلماء ما ورد عن عثمان وعائشة – رضي اللّه عنهما – من آثار تدل على وجود أخطاء في كتابة المصاحف على النحو التالي :

أ – فبالنسبة للأخبار المنقولة عن « عثمان » رضي اللّه عنه ، فقد تقدم أنها غير صحيحة من حيث السند ، ومثلها لا تقوم به حجة ، كما قال العلماء .

ولو سلمنا بصحتها ، فيجب تأويلها بما يتفق مع المعنى الذي به تصح ، ولا يتعارض مع ما هو ثابت بالدليل القطعي من حفظ الله تعالى لكتابه من التحريف والتبديل والخطأ ، كما يتفق مع مكانة « عثمان » رضي اللّه عنه ، وغيرته على كتاب الله تعالى ، وإلا فكيف يهبّ لنسخ المصاحف خوفًا من وقوع اللحن والخطأ في وجوه القراءات ، ثم يقر ذلك في المصاحف ؟!

---

(١) القراءات في نظر المستشرقين والملحدين ص ٥٢ – ٥٣ .
(٢) سورة الحجر الآية (٩) .
(٣) انظر : رسم المصحف للدكتور لبيب السعيد ص ٢٤ .

وأصح ما قيل في تأويله : ما قاله الداني في المقنع (١) : « ... وجهه : أن يكون عثمان ، رضي اللّه عنه ، أراد باللحن المذكور فيه : التلاوة دون الرسم ؛ إذ كان كثير منه لو تلي على حال رسمه لانقلب بذلك معنى التلاوة ، وتغيرت ألفاظها . ألا ترى قوله : (أولأا ذبحنه) و (لأوضعوا) و (من نبإى المرسلين) و (سأوريكم) و (الربوا) وشبهه مما زيدت الألف والياء والواو في رسمه ، لو تلاه تال لا معرفة له بحقيقة الرسم على حال صورته في الخط ، لصيّر الإيجاب نفيًا ، ولزاد في اللفظ ما ليس فيه ، ولا من أصله ، فأتى من اللحن بمالا خفاء به على من سمعه ، مع كون رسم ذلك جائزًا مستعملًا .

فأعلم عثمان ، رضي اللّه عنه ، إذ وقف على ذلك أن من فاته تمييز ذلك ، وعَزَبتْ معرفته عنه ممن يأتي بعده ، سيأخذ ذلك عن العرب ؛ إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم ، فيعرّفونه بحقيقة تلاوته ، ويدلونه على صواب رسمه ، فهذا وجهه عندي ، والله أعلم » .

ويؤيد ما قاله الداني : ما أخرجه الطبراني والبيهقى أن النبي ﷺ قال : « اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ... » (٢) .

فالمقصود باللحن الوارد في الأثر : تلاوة الحروف والكلمات المرسومة بزيادة أونقص أو إبدال ، مما يخالف قواعد الرسم القياسي ، ولو قرئت كما هي مرسومة لتغير اللفظ وفسد المعنى (٣) .

وكيف يتفق ذلك مع قوله - للصحابة - رضي اللّه عنهم - حين عرضوا عليه المصاحف : « أحسنتم وأجملتم » (٤) ؟!

إنه التناقض الذي لا يليق بمقامه وعلو شأنه - رضي اللّه عنه .

ب - أما بالنسبة للأثر المروي عن عائشة - رضي اللّه عنها - : فقد أجاب عنه الإمام الداني فقال :

---

(١) ص ١٢٤ - ١٢٥ .
(٢) انظر : فيض القدير (٦٥/٢) .
(٣) انظر : النشر (٤٥٨/١) .
(٤) تقدم تخريجه .

« ... تأويله ظاهر ، وذلك أن عروة لم يسأل عائشة فيه عن حروف الرسم التي تزاد فيها لمعنى ، وتنقص منها لآخر ؛ تأكيدًا للبيان ، وطلبًا للخفة ، وإنما سألها فيه عن حروف من القراءة المختلفة الألفاظ المحتملة الوجوه ، على اختلاف اللغات التي أذن الله – عز وجل – لنبيه – عليه السلام – ولأمته في القراءة بها ، واللزوم على ما شاءت منها ؛ تيسيرًا لها وتوسعة عليها ، وما هذا سبيله وتلك حاله ، فعن اللحن والخطأ والوهم والزلل بمعزل ؛ لفشوّه في اللغة ، ووضوحه في قياس العربية ، وإذ كان الأمر في ذلك كذلك فليس ما قصدته فيه بداخل في معنى المرسوم ، ولا هو من سببه في شيء ، وإنما سمّى عروة ذلك لحنًا ، وأطلقت عائشة على مرسومه – كذلك – الخطأ على جهة الاتساع في الإخبار ، وطريق المجاز في العبارة ؛ إذ كان ذلك مخالفًا لمذهبهما ، وخارجًا عن اختيارهما ، وكان الأوجه والأولى عندهما ، والأكثر والأفشى لديهما ، لا على وجه الحقيقة والتحصيل ، فالقطع لما بيناه قبل من جواز ذلك وفشوّه في اللغة ، واستعمال مثله في قياس العربية ، مع انعقاد الإجماع على تلاوته كذلك ، دون ما ذهبا إليه ... » (١) .

ثم قال : « على أن أم المؤمنين – رضي اللّه عنها – مع عظيم محلها ، وجليل قدرها ، واتساع علمها ، ومعرفتها بلغة قومها ، لحّنت الصحابة ، وخطأت الكتبة ، وموضعهم في الفصاحة والعلم باللغة ، موضعهم الذي لا يجهل ولا ينكر ، هنا ما لا يسوغ ولا يجوز .

وقد تأول بعض علمائنا قول أم المؤمنين : أخطأوا في الكتاب : أي أخطأوا في اختيار الأولى من الأحرف السبعة بجمع الناس عليه ، لا أن الذي كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز ؛ لأن مالا يجوز مردود بإجماع وإن طالت مدة وقوعه ، وعظم قدر موقعه ، وتأول اللحن : أنه القراءة واللغة ، كقول عمر – رضي اللّه عنه – : أبيّ اقرؤنا ، وإنا لندع بعض لحنه ، أي : قراءته » (٢) .

وقال الشيخ الزرقاني عن هذه الآثار :

---

(١) المقنع ص ١٢١ – ١٢٢ .
(٢) المصدر السابق ص ١٢٢ .

« ونجيب أولًا : بأن هذه الروايات مهما يكن سندها صحيحًا ، فإنها مخالفة للمتواتر القاطع ، ومعارض القاطع ساقط مردود ، فلا يلتفت إليها ، ولا يعمل بها .

ثانيًا : أنه قد نص في كتاب إتحاف فضلاء البشر (١) على أن لفظ « هذان » قد رسم في المصحف من غير ألف ولا ياء ، ليحتمل وجوه القراءات الأربع فيها ... وإذن فلا يعقل أن يقال : أخطأ الكاتب ؛ فإن الكاتب لم يكتب ألفًا ولا ياء ، ولو كان هناك خطأ تعتقده عائشة ما كانت تنسبه للكاتب ، بل كانت تنسبه لمن قرأ بتشديد « إنّ » وبالألف لفظًا في « هذان » ، ولم ينقل عن عائشة ولا عن غيرها تخطئة من قرأ بما ذكر ، وكيف تنكر هذه القراءة وهي متواترة مجمع عليها ؟ بل هي قراءة الأكثر ، ولها وجه فصيح في العربية ، ولا يخفى على مثل عائشة ، ذلك هو إلزام المثنى بالألف في جميع حالاته ... فبعيد عن عائشة أن تنكر تلك القراءة ، ولو جاء بها وحدها رسم المصحف .

ثالثًا : أن ما نسب إلى عائشة - رضي الله عنها - من تخطئة رسم المصحف في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ بالياء ، مردود بما ذكره أبو حيان في البحر (٢) إذ يقول ما نصه : « وذكر عن عائشة - رضي اللّه عنها - وعن أبان بن عثمان أن كتبها بالياء من خطأ كاتب المصحف ، ولا يصح ذلك عنهما ؛ لأنهما عربيان فصيحان ، وقطع النعوت أشهر في لسان العرب ، وهو باب واسع ، ذكر عليه شواهد سيبويه وغيره » .

وقال الزمخشري (٣) : « لا يلتفت إلى ما زعما من وقوعه لحنًا في خط المصحف ، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب (يقصد كتاب سيبويه) ، ولم يعرف مذاهب العرب ومالهم في النصب على الاختصاص من الافتنان ، وغبى (٤) عليه أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل ، كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام ، وذبّ المطاعن عنه ، من أن يتركوا في

---

(١) جـ ٢ ص ٢٤٩ .

(٢) جـ ٣ ص ٣٩٦ - ٣٩٧ .

(٣) الكشاف (٥٩٠/١) .

(٤) في المصباح المنير كتاب الغين : « غبى عن الخبر جهله » .

كتاب الله ثلمة [1] يسدها من بعدهم ، وخرقًا يرفوه من يلحق بهم .

رابعًا : أن قراءة (والصابئون) بالواو ، لم ينقل عن عائشة أنها خطأت من يقرأ بها ، ولم ينقل أنها كانت تقرأ بالياء دون الواو ، فلا يعقل أن تكون خطأت من كتب بالواو » [2] .

وقد اتفق القراء العشرة على قراءة (والمقيمين الصلاة) بالياء ، وعلى قراءة (... والصائبون) بالواو ، موافقة للرسم في كل منهما ، وبذلك يكون قد تحقق في هاتين الكلمتين أركان القراءة الصحيحة وهي : التواتر ، وموافقة الرسم العثماني ، وموافقة وجه من وجوه اللغة العربية ، فلا وجه للاعتراض عليهما ، ولا يقبل أي أثر يخالف ذلك .

وأيا كان تأويل هذه الآثار ، فإن هذا لا يطعن في صحة وسلامة هذا العمل الجليل الذي قام به الصحابة - رضي اللّه عنهم - حيال كتاب الله تعالى ، وأجمعت عليه الأمة ؛ تحقيقًا لوعد الله تعالى في قوله - جل شأنه - : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ .

---

(١) الثلمة في الحائط وغيره : الخلل ، والجمع ثُلَم ، كغرفة وغرف .

(٢) مناهل العرفان (١/٣٨٦-٣٨٧) وانظر : كتاب المصاحف (١/٢٤٠) .